مستقبل زراعة القطن في العراق

(١)

يتوقف مستقبل زراعة القطن في العراق على اختبار النوع الذي توافق زراعته مناخ البلاد . و بكلمة اخرى على اختيار النوع الذي تجود زراعته في التربة العراقية . فاذا توفق القائمون عندنا بتجربة زراعة الانواع المختلفة

واقراط ثمينة وخواتم . ولم تدر المسكينة ان هذه السيدة بغي ساقطة. فسألتها من اين يأتي بعض السيدات بالثياب الثمينة والاحجار الكريمة من الماس . فقابلتها بضحكة وهي تقول : « ان الطرق اليها كثيرة . فذلك المعتكف المقدس مثلاً (واشارت بيدها الى حيث يعتكف هذا الوحش) كان لي ولصويحباتي اول ينبوع فاض علينا منه الخير . فان شئت فاذهبي اليه كذلك والشيخ رجل مبارك سيعلمك السر الاكبر » .

وقد هربت من عمتها فجاءت تتعلم منه السر الاكبر .

وانت ايها القاريء اعرف بالنتيجة المخزية لهذه الزيارة !!

وأدخل اليوم الثاني ، واصبحت الفتاة فاقدة طهرها ، دعاها الشيخ المعتكف الى الذهاب عنه ، فنظرت اليه في ريب مخيف ثم قالت :

— « لكن الوفاء بوعدك اولاً . لقد اردت ان توصلني الى معرفة السر الاكبر ، ففعلت ما امرتني به فلم اتعلم شيئاً ؟!

فيجيبها : ويل لك ايتها الطفلة الغافلة ! ابقي سر لم تفهميه مني ؟ وعما قريب سيأتيك الغنى كما جاء تلك السيدة (وصلت خانم) وغيرها من السيدات!

ولعلي احدثك في الشهر الآتي عن بعض قصصه الاخرى .

بغداد : محمود أحمد

الى اكتشاف او استنسال نوع متفوق عن غيره في الكمية والتيله واللون والنعومة خاص بالعراق لامكن للعراقيين ان يعتمدوا في النهوض بالبلاد على حاصلات قطنهم اذ يكون لهم منه مواسم تجارية في اسواق العالم متفوقة لا تنافسهم فيه الاقطان الاخرى لا سيما وان العالم اخذ في التوسع في المدنية وهذه تزداد حاجتها من يوم الى آخر الى القطن بفضل اقبال الشعوب الباقية الى الآن على الحالة الفطرية ، الى التحضر والاخذ باسباب المدنية . وهذا بالطبع يستلزم زيادة المستهلك من القطن او ما يتفرع منه .

ولا يتسنى لنا اختيار نوع القطن الذي توافق زراعته مناخ العراق وتجود حاصلاته في التربة العراقية إلا اذا درسنا دراسة وافية تاريخ القطن واوصافه وتربة ومناخ البلاد التي تصلح لزراعته والطرق الواجب ان نتبعها في زراعته وجمعه وحلجه وشحنه ومعرفة الصناعات التي تحتاج اليه والاسباب الداعية الى زيادة صرفه واستهلاكه . وهذا ما اردت ان أوالي البحث فيه معتمداً في ذلك على افضل ما وصلت اليه يدي من المصادر الفنية المعول على آرائها في هذا الموضوع الخطير .

وفي الواقع ان كلمة قطن ومنسوجات قطنية بسيطة جداً في مبناها على مسامعنا . ولكنها لا تلبث كذلك اذا ما شرعنا في البحث في زراعة هذا الصنف وتتبعنا الادوار التي يتقلب اليها من الحقل الى السوق ومنها الى المحلجة ثم الى المصنع . فاننا في هذه الحالة نستعرض انواع الآلات والمكائن المختلفة التي تسير على النظام التسليمي (اي ان الآلة او الماكنة الواحدة تبدأ مهمتها عند ما تنتهي مهمة الاخرى) في عمليات كثيرة وكلها تستنفد جهوداً واعمالاً قائمة على اصول علمية فنية . اعتبر ذلك في ما يتكلفه الفلاح في مزرعته والغزال في مغزله والقصار في قصر او تبييض الغزل وصبغه ونقشه وحياكته اقمشةً

وايداعه فى المستودعات والمخازن التجاريه لتصريفه و بيعه الى المستهلكين . فاذا ما تأملنا فى جميع هذه الادوار تكونت لدينا فكرة عن عظمة القطن وخطورة مملكته . وان قسما عظيما من سكان العالم مشترك فى هذه الادوار اما رأسا واما بالواسطة ونستطيع بذلك ان ندرك الاسباب التي تحمل العارفين بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية على تعليق اهمية كبرى للدور الذي تلعبه زراعه القطن في العراق فى مستقبل البلاد .

٢ — تاريخ القطن

ان كلمة Cotton مع انها مشتقة من كلمة « قطن » العربية الا ان اصل نبات هذا الصنف لا يعرف عنه شيء الى الان وما يزال سراً من الاسرار الغامضة. وشأن القطن من هذه الوجهة شأن محاولة معرفة اصل الانسان تماماً ولكن يمكن ان يقال فى هذه النقطة ان الانسان قدعرف قديماً زراعة القطن فتاريخ القطن هو تاريخ القطن والانسان معاً وليس تاريخ القطن وحده .

واول اشارة الى القطن والاقمشة القطنية جاءت ، كما اجمع المؤرخون ، فى قصيدة (الفيدا) السنسكريتيه التى كتبت عام ١٥٠٠ قبل المسيح . وجاء فى الاسطوانة التى اكتشفت فى خرابات نينوى اشارة كتبها الملك سنحاريب فحواها ان نباتا كان ينمو في البساتين الكبيرة القائمة على شاطيء نهر دجلة وكان هذا النبات يحمل صوفا كانت تصنع منه البسة بعد جنيه . و يرجع تاريخ الاسطوانة الى ٧٠٠ سنة قبل المسيح .

ويحدثنا التاريخ عن اونشي امبراطور الصين فى القرن الخامس قبل الميلاد ، انه كان يملك قميصاً من القطن . وقد ذكر نيركوس قائد اسطول اسكندر الكبير ، الذي عاش قبل الميلاد بثلاثمائة سنة ، انه شاهد شجراً

يحمل صوفاً . واشار هيرودتس المؤرخ الشهير فى مؤلفاته التي كتبها قبل الميلاد بار بعمائة سنة الى زراعة القطن في الهند فقال : لديهم نوع من الشجر يحمل صوفا بدلاً من الفاكهة وجنسه انعم وافضل من صوف الغنم ويستعمله الهنود في لباسهم .

وروى بليني المؤرخ الروماني الشهير سنة سبعين بعد الميلاد ان نباتاً كان ينمو في ذلك العصر في مصر العليا يعطي ثمراً يحتوي على مواد تصنع منه الالبسة . وان هذا النبات كان قصير الارتفاع يحمل ثمراً يشبه الجوز ويحتوي على صوف ناعم يغزل وتصنع منه خيوطاً ولا شيء يشابهه فى شدة نعومته وبياضه وجمال البسته التي يكتسي بها كهنة مصر . واضاف آريان المؤرخ الذي كتب تاريخ اسكندر الاكبر في القرن الثاني بعد المسيح على ماتقدم قوله : « ان الخام والموسلين المصنوع من القطن تحمله السفن من بلاد الهند الى ميناء (عادول) الكائن على البحر الاحمر وهذه المتاجرة بالقطن والاقمشة القطنية جارية منذ مئات من السنين » .

ولم تعرف اوربا القطن الا منذ فجر التاريخ الاسلامي الذي يبدأ من عام ٦٥٠ بعد الميلاد . واول مصنع شيد في اوربا لحياكة الاقمشة القطنية اوجده العرب في اسبانيا حوالي ذلك التاريخ . على ان الاوربيين كانوا الى ذلك غير عارفين شيئاً عن القطن سوى ما يسمعونه من روايات السياح والرواد . ولدينا طائفة كبيرة من هذه الروايات وكلها سخافات تضحك ولا تدل على شيء آخر سوى مبلغ ما كانت عليه شعوب اوربا من الغباوة والجهل المطبق حتى بابسط النظريات البديهية . فضربنا صفحاً عنها لخروجها عن موضوعنا .

ولما وصل كريستوف كولومبس الى احدى جزر بهاما في القرن الخامس عشر قايضه الاهالي غزل قطن بما كان عنده . ولذلك وجد سكان جزيرة